

الحلقة الثالثة والخمسون

مواضيع عملية

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. هل تظن أن الأغنياء هم أكثر سعادة من الآخرين، أو أن المال يأتي بالسعادة للإنسان؟ تحت عنوان المال لا يجلب السعادة جاء التقرير التالي:

قال عالم النفس الأميركي مايكل فريستش إن المال لا يمكن أن يجلب السعادة، لكن الأخيرة أي السعادة يمكن أن تجلب المال. معتبراً هذا الإحساس هو خليط من الجينات والسلوك والظروف التي تحيط بحياة الإنسان. وأضاف في دراسة أعدها بالتعاون مع زميل له وثلاثة طلاب من جامعة بنسلفانيا: يبدو أن الناس السعداء لديهم مبادرة ونتاجية أكبر في العمل، وأن زبائنهم ورؤساءهم في العمل أكثر رضى، الأمر الذي يمكن أن يقود إلى مدخول أكبر. وأوضح أن ٥٠ في المئة من السعادة يتم وراثتها من الأبوين، والـ ٥٠ في المئة الأخرى من أسلوب الحياة وعدد التدخلات التي يطورها الشخص على مستوى الصحة والأهداف والعلاقات.

وأشار فريستش إلى أن تحلى الناس بالإيمان يسمح لهم بأن يكونوا أكثر تفاؤلاً، وهو ميزة أساسية للناس السعداء. فضلاً عن أن مساعدة الآخرين والعلاقات القوية والمرضية مع الناس الذين نحبهم والأصدقاء، هي بدورها عامل أساسي للسعادة. ورأى أن التصميم المنزلي والمناطق الأخرى التي ترتبط بها حياة الناس واللعب والتفاعل مع الآخرين، يمكن أن يؤثر على الإحساس بالرضى في الحياة. وخلص إلى أن الناس الماديين الذين ينزعون إلى الثراء هم أكثر تشاؤماً وغير سعداء.

إن هذه الدراسة وغيرها من الدراسات لعلماء النفس والاجتماع تؤكد أن المال والغنى لن يجلب السعادة للإنسان، وعلى عكس ما قد يتصوره الكثيرون. فالإنسان الغني ليس هو أكثر سعادة من الناس العاديين أو ذوي الدخل المحدود المتوسط. هناك عوامل كثيرة تساعد الإنسان للحصول على السعادة، وليس المال سوى عامل بسيط جداً منها. مع العلم أن نتائج الدراسة التي ذكرناها لم تعط للمال أية مساهمة في هذا الشأن. لكن العكس هو الصحيح: أي أن السعادة هي التي يمكن أن تقود إلى الحصول على المال.

ولاحظنا من هذه الدراسة أن علاقات الإنسان الاجتماعية ونموها الصحيح، هي من العوامل المساعدة للحصول على السعادة. فعندما يبني الإنسان علاقات صحيحة مع الآخرين إن كانوا زملاء أم أصدقاء، أم حتى من أفراد العائلة، فهذا لا بد أن يساهم في جلب السعادة إلى حياته. لكن الذي لفت الانتباه هو قول عالم النفس أن تحلى الناس بالإيمان يسمح لهم بأن يكونوا أكثر تفاؤلاً.

مؤكداً أن التفاؤل هو ميزة أساسية للناس السعداء. إن الإيمان أي الثقة الكاملة بالله الخالق وبالمستقبل الذي يعدّه لنا، لا بد أن يجعلنا أكثر تفاؤلاً وبالتالي أكثر سعادة.

فهل مازلت صديقي تظن أن تحصيلك للمال الكثير هو الذي سيجلب السعادة إلى حياتك؟ أو أن الناس الأغنياء هم السعداء؟ وهل تدرك أن الغني في المال قد يكون أحياناً من أتعس الناس؟ فهو لا يعرف الراحة القلبية والسلام والاطمئنان الذي يتوق إليه كل إنسان.

أتى مرة شاب غني إلى المخلص المسيح وسأله قائلاً: "أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية. فقال له لماذا تدعوني صالحاً. ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله. ولكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا. قال له أية الوصايا. فقال يسوع: لا تقتل. لا تزن. لا تسرق. لا تشهد بالزور. أكرم أباك وأمك وأحب قريبك كنفسك. قال له الشاب هذه كلها حفظتها منذ حدثتني. فماذا يُعوزني بعد. قال له يسوع إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني. فلما سمع الشاب الكلمة مضى حزيناً. لأنه كان ذا أموال كثيرة. فقال يسوع لتلاميذه: الحق أقول لكم إنه يعسر أن يدخل غني إلى ملكوت السموات. وأقول لكم أيضاً إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله." (متى ١٩: ١٦-٢٤)

نستنتج من هذا الحوار الذي جرى بين المسيح والشاب الغني، أن المال هو عائق رئيسي يمنع الإنسان من الدخول إلى ملكوت الله أي الحصول على خلاصه. لأن الغني في معظم الأحيان يظن أن المال هو كل شيء في حياته، ويكون متعلقاً به إلى حد أنه يصبح هو متكله ورجاءه. ولهذا يغدو من الصعب عليه أن يتنازل عن المال في سبيل مصلحته أو لا قبل أن يكون في مصلحة الآخرين. أو أن يجعل الله محط ثقته ورجائه. وهذا السبب الذي جعل المسيح يقول لتلاميذه إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من دخول الغني إلى ملكوت الله.

لكن ما هي صفات أو مميزات ملكوت الله؟ إنها بالطبع الصفات التي تقدم للإنسان السعادة الحقة من الداخل، وعلى عكس المال. ولهذا كتب الرسول بولس عن بعض هذه المميزات قائلاً: "لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً. بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس." (الرسالة إلى رومية ١٤: ١٧) إن الله وحده هو الذي يعطي السلام القلبي من الداخل، هذا السلام العجيب الذي لا

تستطيع كل أموال العالم أن تقدمه. والله وحده هو الذي يقدم للإنسان الفرح الحقيقي الذي وصفه الرسول بطرس بالفرح الذي لا يُنطق به ومجيد.

إن الغنى يا صديقي لا يقدم لنا سوى الأناية وحب الذات، ويجعل حياتنا أكثر تعاسة وفراغاً من الداخل. ولهذا لم يكن غريباً أن يستنتج علماء النفس والاجتماع: أن المال لا يجلب السعادة. وأن الناس الماديين الذين ينزعون إلى الثراء هم أكثر تشاؤماً وغير سعداء. وفي المقابل أكدوا أن الإيمان هو الذي يسمح للإنسان أن يكون أكثر تفاؤلاً، وبالتالي يجلب السعادة إلى حياته.

وهو ما أعلنه الرسول بولس في الآية المقدسة التي ذكرناها. فبالإيمان يدخل الإنسان إلى ملكوت الله، أي يختبر خلاص الله المجيد، والسعادة الحقّة. وعندما نختبر خلاص الله نحصل أيضاً كما ذكر الرسول بولس على البر. أي يغفر الله ذنوبنا، ونصبح أبراراً. لأن المخلص المسيح مات عوضاً عنا على الصليب، آخذاً عقاب خطايانا، لكي نحصل نحن على الغفران الأكيد والبر الكامل.

فهل هناك أعظم من هذه العطايا التي يقدمها لنا الله من خلال المخلص المسيح؟ وعندها ليس غريباً أن تمتلئ حياتنا بالفرح والسلام. فهل تراك صديقي تؤمن بالمخلص المسيح الذي أتى من السماء لكي يحررك من قيود الخطية ويهبك السعادة الحقّة؟